الصهاريج، من الينابيع المجاورة للمدينة، عندما علموا بقدوم الجيوش الصليبية لاحتلال مدينتهم، استعداداً منهم لحصار طويل، كما سبق أن قدمنا[33].

وكان، في المدينة، حامية مؤلفة من العرب المسلمين: مصريين وسودانيين، تقدر بنحو ألف مقاتل[34]، بينما تداعت أعداد كبيرة «من الحصون القائمة في المناطق المجاورة ومن الريف» للدفاع عن المدينة، فبلغ عدد المدافعين عنها نحو أربعين ألف «محارب شجاع مجهزين تجهيزاً رائعاً» بحسب قول الصوري[35]. وكان قائد تلك الحامية هو الحاكم الفاطمي نفسه «افتخار الدولة» الذي، ما إن علم باقتراب الصليبيين من أسوار المدينة، حتى باشر باتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها، فطمر كل الينابيع والآبار الواقعة خارج المدينة كي يحرم المهاجمين من التزوّد بمياهها، وأخرج منها المسيحيين من أهلها، فهم، ممنوعون، بحسب الشريعة الإسلامية، من حمل السلاح للجهاد مع المسلمين، بالإضافة إلى خشية أن يتعاطف هؤلاء مع أبناء دينهم المهاجمين فيوقعوا الاضطراب والفوضى في المدينة، ورغبة منه في توفير ما يمكن أن ينفقوه من زاد وغذاء للمسلمين المحاصَرين[36]. أما أسلحة المسلمين المدافعين عن المدينة فإنها كانت، بحسب زعم رنسيمان والصوري، تضاهي أسلحة الصليبيين نوعية وتفوقها عدداً، خصوصاً وأنهم، أي المسلمين، كانوا قد احتاطوا لهذا الأمر فجمعوا الأخشاب اللازمة لصنع الآلات الحربية الملائمة للدفاع عن المدينة المحاصَرة كالمجانيق وسواها، «وأنشأوا، داخل الأسوار، آلات حربية... معادلة في ارتفاعها لارتفاع» آلات الصليبيين[37]. وبينما كان الصليبيون يجهدون، بدورهم، لإعداد آلات الحصار التي تنقصهم، من سلالم ومجانيق، كان المسلمون لا يفتأون يراقبون تصرفاتهم بواسطة حراس يقظين كانوا قائمين على الأسوار باستمرار، ثم

---

(33) الصوري، المصدر السابق، ج 1: 413.

(34) حتي، المصدر السابق، ج 2: 756، وانظر رنسيمان، المصدر السابق، ج 1: 416.

(35) الصوري، المصدر السابق، ج 1: 416، والجدير بالذكر أن الصوري لا يؤكد ذلك، بل يقول: «وذكرت إحدى الروايات»، ونعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً.

(36) رنسيمان، المصدر السابق، ج 1: 416.

(37) الصوري، المصدر السابق، ج 1: 421. ويذكر رنسيمان (م. ن. ج 1: 418) أن أسلحة المسلمين «فاقت أسلحة الفرنج» إلا أن ذلك مبالغ فيه.